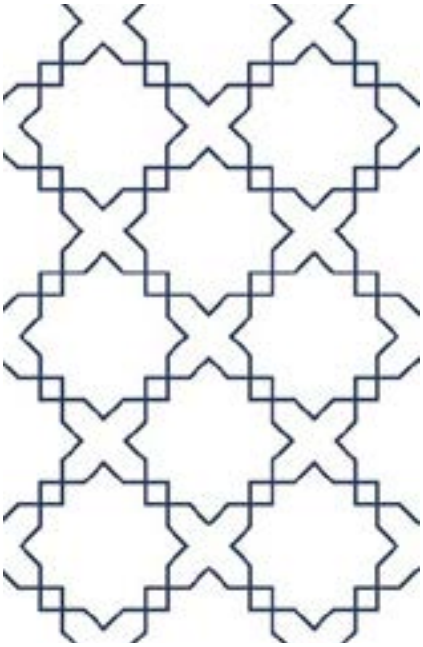

عرض كتاب

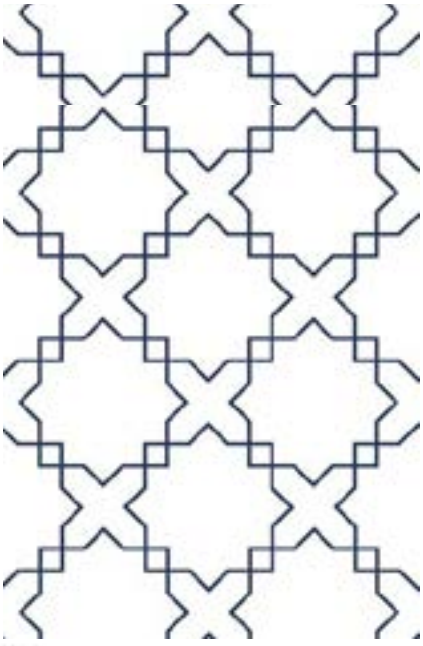

عرض كتاب
القيم الاجتماعية في عالم متغير

المؤلف : الدكتورة منال محمد عباس

جامعة الإسكندرية – جمهورية مصر العربية

دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية - مصر سنة الطبع ٢٠١٦

عرض : م.م عبدالكريم قيس عبدالكريم
الجامعة العراقية -كلية القانون والعلوم السياسية
Assistant Lecturer Abdul Karim Qais Abdul Karim
Al Irqia University / College of Law and Political Science

يشكّل كتاب "القيم الاجتماعية في عالم متغير" محاولة جادة لتحليل التحولات العميقة التي طرأت على بنية المجتمعات، وخاصة المجتمعات العربية، في ظل تأثير العولمة وتقدّم وسائل الإعلام والاتصال الرقمي. يتناول الكتاب إشكالية التغير الاجتماعي في ضوء التقدم التكنولوجي المتسارع، وكيف أثّر ذلك على منظومة القيم التقليدية التي كانت تمثّل الدعامة الأساس في تشكيل أنماط السلوك والانتماء داخل المجتمع.

ينطلق المؤلف من فرضية رئيسة مفادها أن العولمة، بكل ما تحمله من أبعاد اقتصادية وثقافية وتكنولوجية، قد أحدثت قطيعة نسبية بين الماضي والحاضر، وبين ما هو أصيل وما هو مستورد، مما أوجد فجوة واسعة بين القيم التقليدية التي تشكّلت في بيئة محلية محافظة، والقيم الحديثة التي فرضت نفسها من خلال وسائل الإعلام والاتصال المعولمة. وقد أسهمت هذه الفجوة في خلق حالة من التوتر داخل المجتمعات، لا سيما بين الأجيال المختلفة، وبين الأفراد ومؤسساتهم الاجتماعية وعلى رأسها الأسرة.

يبدأ الكتاب بتحديد ملامح التحول القيمي في ظل العولمة، مبيّنًا أن التغير في أنماط الحياة لم يكن طبيعيًا أو تدريجيًا، بل جاء بصورة سريعة ومكثفة، بفعل تأثير الإعلام العالمي والمنصات الرقمية التي باتت تنقل الأنماط السلوكية والثقافية الغربية إلى المجتمعات العربية بشكل مباشر ويومي. هذه السرعة في التغير أدت إلى إرباك واضح في استيعاب القيم الجديدة والتكيّف معها، لا سيما في ظل ضعف الوعي المجتمعي العام تجاه مخاطر هذا التحول.

ينتقل المؤلف في الفصل الثاني إلى عرض النظريات الاجتماعية التي تُفسّر هذا النوع من التغير، فيعرض النظرية التطورية التي تفسّر التغير كعملية طبيعية مستمرة، لكنه في المقابل يبرز أهمية نظريات أخرى مثل نظرية الدور الاجتماعي: التي توضح كيف يقوم الأفراد بأدوار متغيرة تؤثر في البناء الاجتماعي وتُعيد إنتاج القيم والنظرية التطورية: التي ترى أن المجتمعات تتطور بشكل طبيعي من البسيط إلى المعقد، ونظرية الضبط الاجتماعي، التي توضّح كيف يمكن للمجتمع أن يُعيد بناء توازنه القيمي من خلال أدوار الأفراد والمؤسسات وآليات الضبط الاجتماعي. كما يلفت الانتباه إلى ضرورة تفعيل المسؤولية الاجتماعية في ظل هذه التغيرات، لتقليل الآثار السلبية التي قد تمسّ استقرار المجتمع ووحدته الثقافية.

ويولي الكتاب اهتمامًا خاصًا بالأسرة المعاصرة، بوصفها المؤسسة الاجتماعية الأكثر تأثرًا بالتحولات الحديثة. فالعولمة، وما أنتجته من ثقافات بديلة، لم تترك بنية الأسرة بمعزل عن التغيير. لقد أصبحت الأسرة مهددة في وظائفها الأساسية، مثل التنشئة الاجتماعية والتوجيه القيمي، بفعل تدخل الوسائط الإعلامية الحديثة التي باتت تنافس الأسرة في أداء هذا الدور. كما يشير المؤلف إلى ما تواجهه الأسرة من بدائل ثقافية وأنماط عيش جديدة قد تسهم في تفكيكها أو تقويض مكانتها الرمزية والاجتماعية. وتأثرها بالتحولات الثقافية، موضحًا كيف أصبحت الأسرة أقل قدرة على أداء وظائفها الاجتماعية الأساسية في ظل التدخل المكثف لوسائل

الإعلام الرقمية، التي أصبحت تنافس الأسرة في التنشئة والتأثير. هذا ما تشير إليه الدراسات المعاصرة حول «الأبوة الرقمية"، حيث بات الأطفال يتلقون توجيهًا ثقافيًا موازيًا من الإنترنت يفوق أحيانًا تأثير الوالدين.

ويُفرد الفصل الرابع من الكتاب لثقافة الشباب، باعتبارهم الفئة الأكثر تأثرًا بالإنترنت والثقافة الرقمية. يؤكد المؤلف أن الإنترنت لم يعد مجرد أداة تواصل، بل أصبح بيئة ثقافية قائمة بحد ذاتها، ينتج فيها الشباب قيمهم الخاصة، ويتفاعلون من خلالها مع رموز وهوية جديدة، مغايرة للهوية التقليدية التي نشأ عليها المجتمع. ويتناول كيف أسهم هذا الواقع الجديد في تشكيل أنماط حياة مختلفة، يُميّزها الانفتاح المفرط، وأحيانًا الانعزال، وضعف الروابط الاجتماعية التقليدية.

ويُشدّد المؤلف على أن الإعلام المعاصر، وخصوصًا الإعلام الرقمي، يُعد العامل الأكثر تأثيرًا في عملية التغيير القيمي. فهذه الوسائط لا تنقل فقط القيم، بل تعيد تشكيلها وتسويقها بطرائق ذكية ومؤثرة، ما يجعل الأفراد يتبنون أنماطًا جديدة من التفكير والسلوك دون وعي أو مراجعة. كما يشير إلى أن هذه الوسائل لم تؤثر فقط في الجانب الاجتماعي، بل امتد تأثيرها إلى الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية، مما يجعل من التغيير القيمي مسألة شاملة تتطلب استجابة متعددة المستويات.

أما على مستوى النتائج، فيوضح الكتاب أن هذا التغيير الاجتماعي لم يكن سلبيًا بالكامل، بل تضمن بعض الجوانب الإيجابية مثل الانفتاح على العالم والتفاعل الثقافي، لكنه في الوقت نفسه خلق تحديات جسيمة مثل تفكك العلاقات الاجتماعية، وتآكل القيم الدينية والوطنية، وضعف الانتماء، وبروز مظاهر العزلة والاغتراب خاصة لدى فئة الشباب.

ويخلص الكتاب إلى ضرورة أن تتحمل المؤسسات الاجتماعية والتربوية والإعلامية مسؤولياتها في مواجهة هذه التحديات. كما يؤكد على أهمية تفعيل دور الإعلام الموجّه الذي يهدف إلى بناء الوعي وتعزيز القيم الأصيلة، بدلًا من الانجرار وراء ثقافة الاستهلاك والتقليد الأعمى. ويطالب بضرورة إحداث يقظة مجتمعية تتسم بالبصيرة والوعي بخطورة هذا التغير، مع التأكيد على أن الأسرة تبقى المؤسسة الأولى في صيانة المجتمع وحمايته من الانهيار القيمي.

في الختام، يمكن القول إن كتاب "القيم الاجتماعية في عالم متغير" يشكّل مساهمة علمية مهمة في فهم التحولات القيمية التي تشهدها مجتمعاتنا العربية، من خلال تحليل متوازن يجمع بين الرؤية السوسيولوجية والمنظور النقدي الواعي. وهو دعوة إلى استعادة زمام المبادرة الثقافية والاجتماعية في عالم سريع التغير، من أجل بناء مجتمع متوازن يحفظ هويته ويواكب متطلبات العصر.